إفريقيا الوسطى خطوات نحو الاستقرار

«فوستن توادیرا» رئيساً جديداً لإفريقيا الوسطى

د. محمد البشير أحمد موسى
باحث في الدراسات الإفريقية والقانونية، تشاد

التقيتُ بـ «فوستن توادیرا Faustin Touadéra » في مكتبه، في مجلس الوزراء في العاصمة بانقي، حينما كان رئيساً للوزراء في عهد حكومة «بوزيزي»، ضمن وفدٍ معنيٍّ بإنشاء قِسْم للغة العربية في جامعة بانقي الوطنية، حينها بيّنا له الهدفَ من الزيارة، فتحّدث حديث الملمّ بوضع بلاده، ومقدّراً أهمية موقعه الجغرافيّ وتشكيلاته الإثنية والدينية، لذا كان دعمه قويّاً في كلمته لإنشاء هذا القِسْم، حيث قال: «إنَّ إنشاء قِسْم اللغة العربية في جامعة بانقي سيُسهم في رفع مستوى الوعيّ التعليميّ في البلاد، وسيُساعد هذا القِسْم على التعرف على الحضارة العربية الإسلامية، وخاصّة أنّ العربية تُعتبر اليوم في المدارس الحكومية مادةً اختيارية، وجزءاً لا يُستهان به من شعبي من المسلمين، فبهذا القِسْم سيتمّ تأهيل عدد من الأساتذة الذين يدرّسون هذه المادة والحضارة العربية في مدارسنا المختلفة، وآن الأوان للتوجّه إلى المشرق العربي؛ باعتبار اللغة العربية والحضارة العربية جزءاً من الحضارات الإنسانية، لذا أقترح أن يكون قِسْماً ليس للغة العربية فحسب، بل للحضارة العربية الإسلامية أيضاً؛ حتى يتسنّى لطلاب إفريقيا الوسطى التعرّف على هذه الحضارة العظيمة التي ساهمت في تطوّر البشرية».

وبعد مرور عام ونيّف؛ تغيّرت المعادلة في البلاد، ووصلت حركة «سيلكا» إلى الحكم، وأطاحت بحكومة الرئيس «بوزيزي»، ومن ثمّ بعد عام آخر اندلعت الحرب الطائفية التي أدّت إلى تشريد أكثر مَن (٤٧٠,٠٠٠) لاجئ وتهجيرهم إلى دول الجوار، ونزوح أكثر من (٥٠,٠٠٠) نازح إلى المدن الشمالية في البلاد، وبعد وساطات من أطرافٍ عدّة، تمخّض عن كلّ ذلك عقدُ الانتخابات التشريعية والبرلمانية، حيث بدأت في ٣٠ ديسمبر ٢٠١٥م، وانتقل اثنان للدور الثاني الذي عُقد في يوم الأحد ٢٠١٦/٠٢/١٤م، حيث فاز «توادیرا» بما نسبته (٦٣٪)؛ متفوّقاً على خصمه رئيس الوزراء الأسبق «أنسيت جورج دلوقلي» المدعوم من قِبل الحكومة الفرنسية ومن حزب الرئيس الأسبق «بوزيزي»؛ لذا كان يعدّ مرشح «بوزيزي» بامتياز، إلا أنه مُني بخسارةٍ أمام «توادیرا» المدعوم من قِبل بعض المعارضة غير المسلمة، بالإضافة إلى شرائح كبيرة من المسلمين، وتجلّى ذلك بزياراته قبيل انتخابات الدور الثاني لعددٍ من مخيّمات اللجوء في دول الجوار، بالإضافة إلى النازحين في الداخل، مما كان له الأثر الواضح في سير العملية الانتخابية، حيث تمّ دعمه من قِبل المسلمين بشكلٍ لافت.

وسيُؤدّى القَسَم في حفلٍ كبيرٍ، في ٣٠ مارس ٢٠١٦م، بعد اعتماد المحكمة الدستورية لنتيجة الانتخابات بشكلٍ نهائي، وتهنئة «دلوقلي» منافسَه بالفوز، مما يبشر أنّ هناكَ أملاً يلوح في الأفق نحو الاستقرار والسلام بعد سنواتٍ من الاحتراب والتهجير القسري.

إلا أنّ المستفيدين من الفوضى الخلاقة لم يسرّهم كثيراً فوز «توادیرا» في الانتخابات، لذا كانت العملية التي أدّت إلى مقتل (١٢) من رعاة البقر المسلمين في مدينة بامباري في وسط البلاد[1]، وهي واحدة من العمليات التي يتوقّع أن تستمر بين الفينة والأخرى لتعطيل الاستقرار والأمن في إفريقيا الوسطى وإعاقته، وخصوصاً بعد ظهور تقارير «ويكليكيس» عن التواطؤ الخارجيّ بين شركات فرنسية، وحكومة الكونغو الديمقراطية، وحكومة «بوزيزي»، في منح

(١) الوكالات، انظر: «بان برس، يوم ٢٠١٦/٣/٠٧م تحت عنوان: «مقتل ١٢ شخصاً في هجمات بقرية وسط جمهورية إفريقيا الوسطى»، ٧ مارس ٢٠١٦م – ٠٦:٠٣:٢٧ http:// www.panapress.com/pana-pays-7-lang3-cf-index.html

هذه الشـــركات حقوق امتياز في بعض المناطق للتنقيب عن الغاز والنفط والألماس، وبخاصّة شركة «أريفا» الفرنسية، مما كان سبباً من أســباب الحرب الأخيرة على المسلمين، حينما أحسّـــت هذه الشـــركات بخطورة حكومة «دوجوتيا»، فكانت المساهمة الفاعلة في الحرب الأخيرة بدعم ميليشيات «أنتي بـــلاكا»، حيث جاءت تحت عنوان: «الحـــرب القذرة»، وذكرت التقارير أعداداً كبيرة من الوثائق التي تُثبت عملية التواطؤ بين الشـــركات الغربية والحكومات الإفريقية لإراقة دماء الفقراء والمساكين في إفريقيا الوسطى، وبخاصّة المسلمون منهم[1].

جدول يبيّن نتائج المرشحين[2]

المرشح	الحزب	نتيجة تصويت الجولة الأولى		نتيجة تصويت الجولة الثانية	
		٪	الأصوات	٪	الأصوات
أنسيت جورج دلوقلي Anicet-Georges Dologuélé	اتحاد إفريقيا الوسطى للتجديد Union for Central African Renewal	٢٣,٧٤	٢٣٨,٩٥٢	٣٧,٢٩	٤١٣,٣٥٢
فوستن أركانج توادیرا Faustin-Archange Touadéra	مستقل	١٩,٠٥	٢١٥,٨٠٠	٦٢,٧١	٦٩٥,٠٥٩
ديزري كوليمبا Désiré Kolingba	التجمع الديمقراطي بإفريقيا الوسطى Central African Democratic Rally	١٣٦,٣٩٨	١٢,٠٤		

والملاحظ على هذه النتائج:

أنّ المشـــاركة كانت كبيرة، ووجود ثلاثة مسلمين ضمن المرشـــحين، أبرزهم: ابن الرئيس الســـابق كوليمبا ديزري «بـــلال كوليمبا ديزري»، الذي جاء فـــي الترتيب العام ثالثاً، يـــدلّ على أمرٍ مهمٍّ، وهو وجود قابلية لأن يحكم هذه الدولة مســـلمٌ عبر صَناديق الانتخاب، وهو ما كاد أن يحقّقه «بلال كوليمبا»، وهو ينتمي لقبيلة مـــن القبائل المهمّة في جنوب البلاد، ومن بينها العاصمة بانقي.

كما تدلّ هذه النتائج على أمرٍ آخر، وهو أنّ الزخم الغربيّ لبعض المرشّـــحين لم ينجح، وعلى رأسهم المرشّح «دلوقلي» الـــذي كان آخر رئيس وزراء في الحكومة الانتقالية برئاســـة المسلم «ميشيل دوجوتيا»، حيث أخفق الدعم الفرنسيّ ودعم الشـــركات الفرنســـية له، وكذا لم ينفعه دعـــم بعض التجّار اللبنانيين الذين ينتمون إلى حزب الله ويمتلكون ثروات كبيرة، حيـــث دفعوا مبالغ طائلـــة لدعم حملة «دلوقلـــي»، وبخاصة التاجر «هزاع»، فأتت الرياح بما لا يشتهيه حكّام الإليزيه.

والأمر اللافت الآخر: أنه بالرغم مما صاحب الانتخابات مـــن تهييج إعلاميٍّ ضدّ الرئيس المنتخب «توادیرا» من قِبل وســـائل الإعلام الفرنسية؛ فإنه استطاع بماضيه العمليّ أن يتغلّب على هذه العقبات بنســـبة مريحة جدّاً، بعد انضمام «بلال كوليمبا» إليه في الجولة الثانية.

وماذا بعد الانتخابات؟

تفيد كلّ المؤشرات إلى أنّ الوضع سيستقر بشكل كبير - بإذن الله تعالـــى-، وخصوصاً أنّ الرئيس «توادیرا» عُرف عنه أنه شخصية عملية، وينتمي لإحدى القبائل المؤثّرة في البلاد، ولديه قابلية لأهل الجنوب والشمال معاً، ودليل ذلك فوزه بهذه النسبة العالية على خصمه.

وبرغم أنّ التحديات المعقّدة في إفريقيا الوسطى تؤرّق الرئيس المنتخب وســـتثقل كاهله كثيراً؛ فإنّ تهنئة المسلمين ومشـــاركتهم، والاحتفاء العام بفوزه، مؤشّر مهمٌّ للعوامل التي يمكن أن تساعد على الاســـتقرار، وخصوصاً بعض العناصر القوية في تحالف ســـيلكا، حيث إنه من المفترض، بناءً على شـــروط الاتفاقية الموقّعة في «برازافيل» لإحلال السلام في بانقي، أن يكون أحد المسؤولين الرئيس أو رئيس الوزراء من المسلمين؛ بناءً على نتائج الانتخابات، وإذا ما طُبّق هذا؛ فإنّ التكامل بين رئيس ذي رؤية واضحة لإحلال الســـلام وتحقيق الازدهار الاقتصادي، ورئيس وزراء مســـلم منســـجم مع هذه الرؤية، لعاملٌ مهـــمٌّ من عوامل عودة اللاجئين والنازحين إلى ديارهم، وعودة الأمن في البلاد، وأي اختلال في هذه المعادلة قد يُرجع البلاد إلى حالة الفوضى المدمّرة، وهذا ما يخشـــاه كثيرٌ من دول الجوار، ومن عقلاء إفريقيا الوسطى ■

(١) التقرير منشور في ٢٠١٦/٠٢/٢٥م بعنوان: The New Dirty War for Africa›s uranium and mineral rights, https://wikileaks.org/car-mining

(٢) انظر: http://afriquenewsinfo.net/2016/25/01/centrafrique / http://www.anerca.org/index.-php/elections-presidentielles/2eme